درس: الأجناس الأدبية

يسعى كل كاتب أن يصوغ أفكاره وفق قالب معين، حيث أن لكل قالب أسسا فنية خاصة، ولكل كاتب المقدرة في التحكم في قالب معين دون الآخر، وهو ما يعرف بالأجناس الأدبي. والذي يعد موضوعا من مواضيع الأدب المقارن. فما هو مفهوم الجنس الأدبي؟، وما الأنواع التي تندرج ضمنه؟، وما علاقته بالأدب المقارن؟.

1. تعريف الجنس الأدبي

أ. لغة: الجنس لغة هو الضرب من كل شيء.
ب. اصطلاحا: الجنس الأدبي هو كل عمل يتضمن مجموعة من الخصائص المشتركة (الشكل الداخلي، الشكل الخارجي)، تلحقه بمجموعة من الأعمال الأدبية.

2. تاريخ الأجناس الأدبية

إن مصطلح الأجناس الأدبية ليس وليد العصر الحديث، وإنما تضرب بجذورها إلى العصور القديمة، وحتى ما قبل التاريخ، مثل الأسطورة والملحمة. فبدأ المصطلح الأجناس الأدبية عند اليونان، نجد أفلاطون أول من أشار إلى فكرة التجنيس الأدبي لكنه لم يذكر تصنيفات بعينها، أما أرسطو فقد قسم في كتابه "فن الشعر" الشعر إلى ثلاثة أقسام الملحمي والدرامي والغنائي.

أمّا في الأدب العربي فقد ظهر مصطلح الأجناس الأدبية لأوّل مرة عند الجاحظ، إذ أشار إلى أنّ الشعر جنس من التصوير، ولا نجد وجودًا لمصطلح الأجناس الأدبية في الأدب الجاهلي. اقتصرت الأجناس الأدبية عند العرب قديمًا على الشعر والنثر، وصنّفوا النثر إلى خطابة ورسالة ومقامة وسجع وحديث، أمّا الشعر كانت تصنيفاته قائمة على الغرض الشعري مثل: شعر الهجاء، شعر المديح، شعر الرثاء، شعر الغزل، والقصة الشعرية، أمّا فيما يخص الأجناس الأدبية المعروفة فقد تأخرت في الظهور بشكل ممنهج، إلى أواسط القرن التاسع عشر نتيجة الاحتكاك بالغرب، فقد ظهرت مجموعة من الأجناس المتطورة كالرواية والقصة القصيرة والأقصوصة والمسرحية.

3. خصائص الأجناس الأدبية

يمكننا تحديد بعض خصائص الجنس الأدبي:

أ. لكل جنس أدبي خصائص تميزه سواء من حيث الشكل أو المضمون.
ب. ديمومة الحركة والتطور كما يقول أرسطو:"وكأنها كائنات حية عضوية تنمو حتى إذا بلغت حد كمالها استقرت وتوقف نموها". فالمسرحية مثلا بدأت في المذهب الكلاسيكي شعرا ثم أصبحت تنظم في العصر الحديث نثرا.
ت. تولد جنس أدبي من اختلاط جنسين أدبيين.

4. أنواع الأجناس الأدبية

1. الأجناس الشعرية

أ.الملاحم الشعرية

تقدم الملاحم الكبرى نظرة واسعة للحياة والعادات والمشاعر والعقائد للشعب الذي تنتمي إليه، ولهذا يرى الرومانسيون أن الملاحم الثلاث الكبرى صورة للحضارات الثلاث الكبرى التي تميزت في تاريخ الإنسانية، فملحمة "مهابهاراتا" الهندية، فهي تكشف حضارة الشرق، و"الإلياذة" لهومير حضارة وفن الإغريق، و"الكوميديا الإلهية" لدانتي الحضارة المسيحية في العصور الوسطى.

1.تعريفها

هي قصيدة قصصية متعددة الأناشيد تسرد حوادث بطولية وتصف مغامرات مدهشة، أبطالها بشر متفوقون وآلهة، وهي تعتمد خصوصا عناصر الإدهاش والخوارق والخيال.

2. نشأتها

أ. الملحمة في الأدب الغربي

تعود نشأة الملاحم عند الشعوب الفطرية، حيث كان الناس يخلطون بين الخيال والحقيقة، وبين الحكاية والتاريخ، فالخيال الجامح عاش في وفاق مع العقل لأن اهتمامهم بمغامرات الخيال أكثر من اهتمامهم بالواقع.

والموضوع السائد في الملحمة هو خوض ملاح لأهوال البحار وعواصفها، لكنها تختلط بالأساطير، والخرافات، وتتغذى على الماضي، أما أبطالها فيقتربون من مصاف الآلهة، أو آلهة تنزل إلى منزلة الناس.

يؤرخ النقاد أن أقدم ملحمة عبر التاريخ هي ملحمة "جلجامش" وهي ملحمة بابلية، ترجع إلى ألفي سنة قبل الميلاد، كتبت بالخط المسماري، تليها ملحمة رمسيس الثاني، لتأتي بعدها الملاحم اليونانية لهوميروس.

ليمشي الرومان على خطا اليونان، ومنهم فرجيل الذي كتب "الإنيادة" في القرن التاسع عشر، لتأتي بعد الملاحم الهندية، والفارسية، وتليها بعد ذلك "الكوميديا الإلهية"، لدانتي، متأثرا بالمصادر العربية، معجزة الإسراء والمعراج، والتي تخالف ملحمتي هوميروس في موضوعها، وفي رمزيتها، فهي دينية الطابع، وموضوعها الرحلة إلى العالم الآخر، فحاول دانتي تقريب ذلك العالم من عالمنا في الشخصيات التي تسكنه، عن طريق وصف أخلاقهم، خاصة أنه عاش في عالم عاصف ممزق، عالم العصور الوسطى. لتعرف الملحمة فيما تطورا كبيرا ففقدت الكثير من عناصرها الأصلية وأصبحت تنظم نثرا، وذات طابع تعليمي هذا ما نجده في "مغامرات تليماك" لفينلون.

3.الملحمة في الأدب العربي القديم

رغم وجود ملحمة "جلجامش" التي تعود بجذورها إلى الحضارة البالية، إلا أن العرب عموما كان الشعر العربي هو ديوان العرب، حيث لم يكن ثمت وجود لفن الملحمة فيه، وقد انصرفوا عنه لما فيه من وثنية، وهو خلاف ما هم عليه من التوحيد، لذا لم يفكروا في النسج على منواله.

إلا أنه في الربع الأخير من القرن التاسع عشر انبهر الأوائل بأعمال الغربيين، ومنها جنس الملحمة فقام سليمان البستاني بترجمة "الإلياذة" لهوميروس إلى اللغة العربية في 1887م، وهو أمل كان يرواد المثقفين في تلك الأيام لما تتمتع به من شهرة عريضة في كل اللغات الأجنبية، وفتح الطريق أمام ترجمة ملاحم أخرى، فقام وديع البستاني بترجمة ملحمة "مهابهارتا" الهندية. ليعرف الأدباء تأليف ملاحم منهم حافظ إبراهيم ألف العمرية عن الفاروق عمر بن الخطاب، وبعده أنشد محمد عبد المطلب ملحمته عن أبي بكر الصديق.

ب.الشعر الغنائي

1.تعريفه

عرفه قدامة بن جعفر: "الشعر هو كلام موزون مقفى".

وُجد الشعر لغايات لها علاقة بالمشاعر والعواطف الخالصة، وما يشعر به الإنسان من الفرح والحزن والحب والكره وغيرها. وهو أيضاً الشعر الذي يتم نظمه لغنائه مع آلة موسيقيّة معينة، وساهم هذا النوع من الشعر في تفجير الطاقات الفنيّة واستغلالها في موضوعات وأغراض معيّنة كالوصف والحماسة والمديح والرثاء والهجاء والفخر والحكم وغيرها.

2. نشأة الشعر الغنائي

أ. الشعر الغنائي عند العرب

الشعر من أوائل الفنون العربية، ظهر في تاريخ الأدب العربي منذ العصور القديمة حتى أصبح هذا الفن وثيقة أمكن من خلالها التعرف على ظروف العرب وتاريخهم. لقد بدأ رحلته منذ أكثر من خمس مئة وألف عام، ولم تتوقف حركة سيره، تحت أي سبب، حتى يومنا هذا.

أما في اللغة العربية فلدينا أنواع من الشعر تتصل بالعروض وأبحره العديدة طورا، وبالقافية واحدة أو متعددة أطوارا أخرى، فالشعر التقليدي تجيء القصيدة الواحدة منه في بحر واحد وقافية واحدة، وأبقى المحدثون على وحدة البحر، ولكنهم نوعوا في القوافي، وأما الموشحات فنوع جد مختلف عن الشعر، وفيها يستخدم الوشاح العروض والقوافي بضوابط معينة، تختلف عن استخدامها في الشعر تماما، ليظهر بعد ذلك الشعر التعليمي الذي يهدف إلى تعليمنا وتثقيفنا، وله رسالة تربوية يؤديها، وقد يستخدم القصص ليلطف من جفاف النصيحة. فجاء بعده الشعر المسرحي لتشاهد الأعمال كما لو كنا نقوم بها نحن في مكان عام، وتمضي الأحداث أمامنا، وتمر الشخصيات على مرأى من أعيننا، فها هو توفيق الحكيم يبدع "أهل الكهف".

ب. الشعر الغنائي عند الغرب

جاء الشعر الغنائي في الترتيب التاريخي تاليا لشعر الملاحم، لأن ازدهاره يتطلب مجتمعا لا يهتم بالمغامرات الحربية، وقد صادف ازدهار الشعر الغنائي الإغريقي في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، ولد الشعر الغنائي على يد شعراء التروبادور بتأثير من الشعر الأندلسي، فوق عتبات بلاط الأمير، يتغنى بالمرأة، ويغني الحب. ومع الرومانسية أصبحت القصيدة الغنائية أكثر استقلالا، وأوضح شخصية، وأكثر تلونا، ولم تقف عند الأشكال القديمة الصارمة، وقلت القصيدة القديمة المتأملة والمطولة، دون أن تختفي، وحلت مكانها الأبيات القصيرة، تجيء عفو الخاطر، لتعبر عن مشاعر اللحظة.

2.الأجناس النثرية

1. الأسطورة

تعد الأسطورة نشاطا فكريا متكاملا مارسه الإنسان البدائي منذ أقدم العصور ومازال يمارسه إلى يومنا هذا، وهي تتداخل مع الخرافة، القصة الشعبية، الملحمة...مما جعل التمييز بينهم صعب.

أ.تعريف الأسطورة

هي قصص خارقة للعادة، وتجمع بين أبطالها من الآلهة أو أنصاف الآلهة، وهي تفسير بدائي للظواهر الكونية.

ت.نشأة الأسطورة

1.الأسطورة في الأدب الغربي

بدأت الأساطير مع العصر القديم من الأساطير المصرية، والفارسية، إلى الأساطير الهندية والصينية، والإغريقية والرومانية...حيث ظهرت الأسطورة كمكون أساسي للأديان القديمة، نتعرف من خلالها على معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم، عندما جاء هوميروس كتبوا الأساطير الأدبية فتحولت الأسطورة إلى أدب وفرغت من شحنتها.

ثم جاء الرومان أصبحت الأسطورة واقعية وعملية، لتتحول بعد ذلك الأسطورة وتتحول إلى خرافة. فظهرت الديانة اليهودية والمسيحية فبدأت الأساطير تضعف مع ظهور فكرة الإله الواحد خالق الإنسان وأصبحت الأساطير متخفية مع حكايات الشياطين والملائكة وفي ثنايا قصص المعجزات، فخرجت الأسطورة من الدين وذهبت إلى الدنيا.

2.الأسطورة في الأدب العربي

جاء في معجم العين "سطر فلان تسطيرا إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، وأسطورة هي أحاديث لا نظام لها بشيء. عرف العرب الأساطير أو كما يفضل الناقد عبد المالك مرتاض تسميتها العجائبية تعود إلى قرون موغلة في القدم، ربما إلى عشرة قرون قبل ظهور الإسلام أو قبل ذلك، ونجد الشعر الجاهلي وظف الأساطير توظيفا شعريا راقيا، فنجد الكاهنات والكهان، والأماكن مثل وادي عبقر، وأرض وبار التي كانت تسكنها الجن، فكان كل شيء جميل في القديم ينسبونه إلى الجن والشياطين،

على أساس أن الإنسان بعيد عن هذه الخوارق، لذلك قالوا في القديم لكل شاعر قرين. لكن مع تطور الفكر ودخول الإسلام ترك العرب هذه الخرافات وأصبحت تنسب العبقرية إلى العقل.

لقد عد توظيف الأسطورة في الأدب العربي الحديث جمالا في الشعر والنثر، ووجد فيها الشاعر مجالا خصبا للتعبير، ووعاء يتسع لاستيعاب المشاعر والمواقف والأفكار، فهي تلخيص واختزال لمعان عديدة، تمد بطاقة هائلة من الإيحاءات، وفيها يتحرر من سلطة التعبير ليعبر عن الواقع الحاضر. مما أوقعها في الغموض نظرا لعدم معرفة القارئ بهذه الأساطير ومن أبرز الأساطير التي وظفت في الشعر الحديث: نيرسيسوس، أوديب، الغول، السندباد، شهريار، وشهرزاد...وهي أساطير تعبر عن الصراع بين الخير والشر أو بين الحياة والموت...

2. المسرحية

أ. تعريف المسرحيةTheatre

المسرحية هي فن أدبي، تجمع في طياتها بين مجموعة من الفنون كالتمثيل والغناء والرقص والموسيقى..لذلك يلقب بأب الفنون، والمسرح هو المكان الواسع والمعروف لعرض المسرحيات، فهو فن يحول فيه الممثلون النص المكتوب إلى عرض تمثيلي بمساعدة المخرج، والمؤلف، فيقدمه في مجموعة من المشاهد التي يؤديها الممثلون أمام الجمهور، غالبا ما يسعى فن المسرح إلى إيصال رسالة للمجتمع.

ب. نشأتها

1. في العالم الغربي

نشأت المسرحية عن الشعر الغنائي، انطلاقا من الهجاء الفردي، فنشأت الملهاة إلا أنها ذات طابع اجتماعي، ونشأت المأساة والتي هي تطور عن أشعار المديح، وكلاهما يشتركان في الطابع الديني، كانت في البداية تقتصر المسرحية على بطل واحد مع أفراد الجوقة، ليقوم بعد ذلك الشاعر إسخليوس بالتقليل من أهمية الجوقة وبزيادة عدد الممثلين، وجعل الأهمية للحوار.

أما في العصور الوسطى فظهرت المسرحيات الدينية المأخوذة من الإنجيل، تحكي ميلاد عيسى، أو صلبه، أو خروج آدم من الجنة، أو قتل قابيل هابيل. أما في عصر النهضة رجع الأوروبين عامة إلى مسرحيات اليونانيين واللاتيين، في الموضوعات والأفكار وفي النواحي الفنية جميعا. ليصل العصر الكلاسيكي وفيه تم القضاء على الجوقة نهائيا وحافظت على القواعد الفنية التي وضعها أرسطو في كتابه "فن الشعر". لنصل على العصر الرومانسية وفيه لم تتقيد المسرحية بضرورة توفير خمسة فصول لكل مسرحية، وقضت على وحدة الزمن والمكان، وخلطوا بين المأساة والملهاة، وصارت شخصيتها شعبية، وقضاياها اجتماعية أو نفسية إنسانية عامة، بعد كانت مقصورة على الآلهة.

2. في العالم العربي

كانت بداية فن التمثيل المسرحي العربي مع الأديب اللبناني "مارون النقاش" الرائد الأول لفن التمثيل، فهو أول من أدخله إلى العالم العربي، وكان ذلك في القرن التاسع عشر، فقد عاش مغتربا في إيطاليا، واطلع على وأعجب بمسرحهم.

ولما عاد إلى بلاده حاول أن يدخل إليها هذا الفن، فبدأ يكتب القطع المسرحية، على طريقة "موليير" فقام بترجمة مسرحية "البخيل" بعد أن أجرى عليها تغييرات تلائم الجمهور العربي، ثم كتب مسرحية "الحسود السليط" وهكذا كانت الخطوة الأولى لفن المسرحية في الأدب العربي. ليأتي بعده يعقوب صنوع، أحمد شوقي، توفيق الحكيم...

3. الرواية

أ.تعريفها

هي سرد نثري خيالي طويل عادة.

ب.نشأتها

1. في الأدب الغربي

يكاد يجمع النقاد على أن فن الرواية بدأ الإعلان عن نفسه كفن ممنهج في أوروبا في القرن الثامن عشر، رغم أن النقاد والمرخين يعدون البدايات الأولى لرواية "الأخوين" أول رواية مصرية كتبت في التاريخ كتبت على بردية دي أربيني، ارتبط نشأة الرواية بالمجتمع الرأسمالي، ولعل من أبرز المحاولات لهذا الفن رواية "دون كيشوت" ميغيل دي ثربانتس.

2.في الأدب العربي

لعل القصة بأنواعها قد وجدت لها بذورا خصبة في الأدب العربي القديم، من خلال محطات أدبية مميزة، تمثلت في: ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، ومقامات الحريري، وحي بن يقظان، بالإضافة إلى عنصر أساس تمثل في اعتماد القرآن على أسلوب القص في ما لا يقل عن ربعه.

لكن الحقيقة الثابتة أن التطور الأدبي في العصر الحديث عبر الوسائل الحضارية من طباعة وصحافة وكتب وانتشار التعليم والاحتكاك بالأدب الغربي، قد دفع عجلة النماء على صعيد القصة بأنواعها من خلال ترجمات زخرت بها المجلات الثقافية، جاورتها بعد قليل محاولات أولية وتعريبات، تدرجت إلى إبداع متكامل.

بدأ التأليف في فن الرواية من خلال ترجمة الروايات الغربية في بداية القرن التاسع عشر، بعد انبهارهم بهذا المنتج الجديد، ثم بدءوا ينسجون على منواله والبداية كانت مع الروائية اللبنانية زينب فوار وأول رواية عربية "حسن العواقب" 1899م، وتأتي رواية زينب لمحمد حسين هيكل 1914م، تعد الرواية الأولى في القرن العشرين، يأتي الكاتب العراقي أحمد محمود السيد "في سبيل الزواج" 1921م ، وطه حسين "دعاء الكروان"، وإبراهيم عبد القادر المازني "إبراهيم الكاتب".

في الأخير يمكن القول أن الأجناس الأدبية وإن تنوعت مشاربها وتعددت، فهي تصب كلها في مجمل الإبداع الإنساني، فخياله من أعطى الحياة والاستمرارية لهذه الأجناس، من خلال ظاهرتي التأثير والتأثر بين الشعوب.